الفلسطينية، لا يجعلها عظيمة الامكانات وحسب، انما يُرتِّب عليها أيضاً مسؤوليات جسيمة تجاه معركة التحرير، وفي الوقت عينه تجاه مجموع علاقاتها: أولاً، مع مختلف الفصائل الداخلة فيها؛ وثانياً، مع الشعب الفلسطيني وطاقاتها المختلفة؛ وثالثاً، مع البلدان الاشتراكية التي ساهمت، الى حد كبير، في رفع رصيد منظمة التحرير المعنوي والسياسي؛ واخيراً، مع البلدان العربية، والبلدان النامية الصديقة.

عندما تصبح منظمة التحرير الفلسطينية ذات امكانات كبيرة، تصبح أهمية المنظور الاستراتيجي والسياسي متعاظمة؛ وهذا ينطبق على المنظمة ككل، وعلى الفصائل الداخلة فيها أيضاً.

يختلف الأمر كثيراً إذا اعتبر المرء أن معركة التحرر الفلسطينية هي جزء من الصراع مع الامبريالية عما أذا اعتبرها نوعاً من المهارة السياسية.

ويختلف الامر كثيراً إذا اعتبر المرء الكفاح المسلح جزءاً من الرد الشعبي المنظم، والمستمر، على العدوانية الامبريالية عما إذا اعتبره نوعاً من أعمال التحرش المتفرقة، التي غايتها، على المدى القريب، اظهار ان المرء يفعل شيئاً ما، وعلى المدى البعيد البرهان للطرف الامبريالي - الذي في يده الحل زعماً - بأن بالامكان الضغط، في حال عدم الاستجابة للمطاليب. في الاحتمال الثاني، تنتج عقابيل خطيرة جداً، أهمها تعريض الشعب الفلسطيني للأعمال الانتقامية الوحشية، الأقسى بكثير من التحرشات البسيطة المقابلة لها، ثم اتخاذ أعمال التحرش ذريعة للعدوان على كل البلدان العربية؛ وفي ذلك تلخيص لكل قصة العدوان الامبريالي - الاسرائيلي منذ الستينات حتى الآن. من جهة اخرى، تستخدم الذريعة عينها، لدى الطرف الاسرائيلي والامبريالي، للتصلب، ولعدم التراجع امام الضغط المعنوي العالمي الذي تقوم به البلدان الاشتراكية، أو هيئة الامم المتحدة، لمصلحة القضية الفلسطينية.

ان الكفاح المسلح ليس عملية شكلية، ولا عشوائية. بالعكس، من اخطر الامور اعتباره كذلك، لانه لعب بالنار، مثل من «يمزح» مع مجرم مسلح بأنه يريد ان يقتله.

بل ان الكفاح المسلح في الشرق العربي هو اعقد بكثير من نظيره المتطور، الذي دام سبع سنوات في الجزائر، ونظيره الاكثر تطوراً في الفيتنام.

انطلقت منظمة التحرير الفلسطينية أيضاً من أمر، ليس بدهياً البتة، هو ان البلدان العربية المجاورة لفلسطين هي نقاط استناد طبيعية لعملياتها المسلحة. لكن برهنت أحداث الأردن في العام ١٩٧٠، واحداث لبنان في السبعينات، وبداية الثمانينات، ان هذا المنطلق خاطئ، وينطوي على الكوارث الجدية للمنظمة وللشعب الفلسطيني في الوقت عينه.

لقد تعرضت منظمة التحرير الفلسطينية، خصوصاً منذ العام ١٩٨٢، لضربات قاسية، ليس أهمها الضربة التي نجمت عن العدوان الاسرائيلي على لبنان؛ وهي تعيش، اليوم، أزمة انشقاق، وازمة حصار سياسي، وازمة تجميد للكثير من نشاطات مكاتبها العاملة، الضرورية، وربما أزمة مالية بسبب التراجع الكبير، والكبير نسبياً، في ارصدة الدول العربية الغنية وفي مواردها النفطية، وربما، أيضاً، أزمة ناجمة عن زيادة أعباء المنظمة الاجتماعية تجاه قطاعات الشعب الفلسطيني التي تعرضت للكوارث، زيادة كبيرة.

ان منظمة التحرير الفلسطينية موجودة اليوم، والحالة هذه، في حالة حصار متعدد الوجوه.